# جلسة مفتوحة

# مع

## مالك بن نبي

حوار

ابراهيم عاصي

نشر وتوزيع
مؤسسة الأقصى



# جلسۂ مفتوحہ

مع

## مالک بن نبی

مرتبہ

ابراہیم عاصی

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٣٩٣ – ١٩٧٣

## ( كلمة )

( جلسة مفتوحة ) ، حوار على السجية دار مع المفكر الاسلامي الجزائري المعروف ، مالك بن بني . وأقول على السجية ) لأن اللقاء لم يكن مرتباً من قبل ، كما أن الأسئلة بالتالي لم تكن محضرة مسبقاً . . وبهذا يكون من الطبيعي أن تأتي الأجوبة كذلك . .

وأسميتها ( جلسة مفتوحة ) ، لأنها كانت بالفعل هكذا . لقد ضمت جلستنا ـ وعلى الأصح جلساتنا ـ عدداً غير قليل من المستطلعين والمثقفين والمناقشين . فكانت أشبه بندوات فكرية ، وإن كانت على نطاق مصغر .

كما أنني أردت من هذه التسمية شيئاً آخر ، هو المعارضة لجلسة لي سابقة أجريتها مع نمط معيّن من (محترفي) الدين ، وأسميتها ( جلسة مغلقة ) ، صغتها قصة ونشرتها

في مجموعتي القصصية ( ولهان والمتفرسون ) ، وقـد آتت أكلها ثماراً طيبة ونتائج مشجعة والحمد لله ، بما أحدثته من ردود فعل ايجابية ، إن لم أقل عند ( المشايـخ ) المعنيين أنفسهم ، فعند عدد غير قليل من مريديهم الذين رأوا الحق فأخذوا يتبعونه . .

وليس قصدي بالطبع من التسمية الجديدة ، المعارضة لوجه المعارضة ! وإنما القصد أن أربط في ذهن القـارىء شيئاً بشيء ، ولو من قبيل الربط الضدي ، أو الربط بالتداعي.

في ( جلسة مغلقة ) كان الحوار مع شيـخ ( نمط ) ، شيـخ محترف ، سطحي ، مغلق ، يؤثر الظلمة ، يخاف نور الفكر والعقل أن يسلط على أفعاله وأقواله ليناقشه الحساب! يحيط نفسه بهالة و ( هيلمان ) ما أنزل الله بهما من سلطان ويضع نفسه في مصاف الرسل والأنبياء تصريحاً أو تلميحاً!!

أما في ( جلستنا المفتوحة ) هذه ، فلسوف تجـد نفسك أمام نمط آخر مختلف كل الاختلاف . . نمط يتميز بعمق الثقافة ، وسـعة الأفق .. نمط يعيش الاسلام ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . . ويعيش العصر بأبعاده المختلفة : اجتماعياً

واقتصادياً ، ومذهبياً .

ومن هنا .. ولأن الرجل كذلك ، فلسوف تجدني في هذه الجلسة المفتوحة ، مختلفاً عني في الجلسة المغلقة اختلافاً كبيراً !!

في ( المغلقة ) ، كنت مناقشاً ومحاجاً ، وكاشفاً لزيف ، ومصححاً لخطأ .

أما في ( المفتوحة ) ، فستجدني : مستمعاً ، أكتفي باثارة الأفكار ، أحرص على تفتيق ملكات الذهن ومذخوراته أنصت الى الاستطراد ولو طال .. أسعى لسماع أكبر عدد ممكن من التحليلات والتعليلات .. أحاول سد ماقد يبدو لي بين الحين والآخر من ثغرات الحديث ، بمزيد من الاسئلة .

وليس هذا المسلك بالذي يعني ، أن كلام الرجل له امتياز العصمة ، فهو فوق النقاش !! لا ، لا .. إن العصمة لله وحده ثم لأنبيائه فيما بلّغوا من رسالات . .

كل ما يعنيه هذا المسلك مني ، هو الارتياح العام إلى منطق الرجل ، والاحساس بقصر الوقت معه ، والحرص

على الاستفادة منه باستقراء فكره ورأيه عياناً من خلال أكبر عدد ممكن من الأجوبة والتفسيرات .

وفيما يلي ، وقبل عرض الحوار سيجد القارىء وصفاً خارجياً مختصراً ، ثم وصفاً آخر لطريقته في التفكير وأسلوبه في استنباط الأحكام والتفسير ، كما بدوا لي من خلال اللقاءات التي جمعتنا . أردت من ذلك أن تأتي الصورة ، صورة الحديث والمحدِّث ، متكاملة قدر المستطاع . والله ولي التوفيق .

ابراهيم عاصي

لقيته أول مرة على غير اتفاق في إحدى دور النشر في بيروت ، ثم توالت لقاءاتنا ، والتأم اثنان منها على شكل أمسيتين فكريتين استمرت كل منهما حتى منتصف الليل ، وقد ضمتا لفيفاً من المستطلعين والمثقفين .

لا أدري كيف يتصوره الذين يقرأون له ولم يسبق لهم أن شاهدوه ! .

إنه رجل يميل في قامته الى الطول ، غير بدين ، لم يكتمل الشيب في رأسه بعد وإن كان الوقار سمته . . رقيق الحاشية ، متوقد العينين يطل بهما من وراء نظارته الطبية .. بادي الاعتناء بهندامه إن لم نقل التأنق . وقد يكون مختلفاً في هذا عن الكثيرين من أمثاله من كبار المفكرين الذين يهملون مظهرهم - في الغالب - وينسون شعورهم فتطول وتسترخي بداعي الالتفات إلى الأهم والاشتغال بالعلم أو الفن الذي وقفوا انفسهم من أجله ! !

إذا تحدث انفعل هادئاً مع حديثه ، وبدا كمن يلد الأفكار أو يتمخض عنها ، إلا أن جوابه حاضر غير شرود

إذ تكفيه الاطراقة الواحدة العجلى لدى مفاجأته بسؤال ما حتى يرفع وجهه اليك ثانية ويعطيك الجواب الفاصل .

يستخلص المعنى الكبير ، من المشهد الصغير ، بل يستخلص القانون العام من الحادثة العادية ، شأن أرخميدس الذي اكتشف قانونه العلمي الشهير من مشهد الطاسة التي طفت في جرن الحمام !

ومن هنا فانك تلحظ كثرة ضربه الأمثلة والقصص التي يستحضرها للتو من ذاكرته ، ومعظمها مما مرّ معه وجرى له شخصياً .

إن الجالس إليه يحس مباشرة بأنه أمام مفكر كبير شمولي النظرة ، واسع التجربة ، عالمي الثقافة ، يشرف على الأمور والمشكلات إشرافاً ، يطل عليها من شاهق ولا ينظر إليها من جانب أو من تحت .. وهكذا يتاح له أن يحلّل ويركب ، وأن يحيط بالكليات والجزئيات معاً ، وأن يربط الأسباب بالنتائج وأن يعطيك في النهاية الحكم السديد والرأي الناضج العميق الذي لا تحس معه بأية سطحية أو ابتسار .

لقد كتب عنه مرة أحد معارفه الأقربين فقال[1] :

« ليس مالك أديباً أو كاتباً من أولئك الذين ينتجون بالقطعة أو بالمقالة ، وإنما هو يعيش مشكلة كلية ، تشمل عالم الاسلام طولا وعرضاً وعمقاً . وهو من أشد الناس إيماناً بالعالم الاسلامي ، وما ينطوي عليه من طاقات يمكن أن تسهم في حل مشكلاته ، وتحضير أرجائه ، وتطوير حضارة العالم بل إن العالم الاسلامي المعاصر لم يشهد مفكراً وقف تفكيره من أجل تأصيل فكرة ( الحضارة ) في حيـــاة المثقفين خاصة ، سوى مالك» . إن مجالس مالك ومحاورة ليحس بصدق هذا الوصف كلمة كلمة . وزيادة على ذلك فان مالكاً يؤمن بالمنهج العلمي ويسترشد به في أحاديثه وأقواله . قال لنا في معرض كلامه عن تعريف العلم : العـــلم هو أن تقول إن ٤ + ٤ = ٨ وكفى ! وإن هذا ليس بالأمر السهل ولا العادي كما قد يتبادر إلى أذهان بعض الناس ! ثم أضاف إني مازلت مديناً بهذا التفكير إلى أحد أساتذتي يوم كنت

---

(١) انظر مجلة الفكر الاسلامي اللبنانية ـ العدد العاشر ـ مقال الدكتور عبد الصبور شاهين .

طالباً في باريس ، لقد عرف لنا العلم بقوله : العلم هو أن تقول عن القط هذا قط . دون أية زيادة أو نقصان .

شديد العناية والتدقيق على « المصطلح » فهـــو لا يسترسل معك في الاجابة على أي سؤال ، قبل أن يتفق معك على المدلول الموضوعي لكل كلمة مما تفوه به . وما ذلك إلا لاعتقاده ـ كما صرح ـ بأن عدم التحديد الدقيق لمدلول « المصطلح » هو الافة الكبرى التي تعمل عملها في تزييف الأفكار وتضارب الاراء واختلاط المعاني بين المتحاورين أو المتصدين للتوجيه وقذف الكلام من فوق المنابر العامة أو من وراء الميكرفونات .

ومن هنا فانه قلما يجيب على سؤال يكتنفه الغموض أي" غموض في الصياغة أو اللفظ .. إنه لا يجيب عليـه إلا بعد أن يصححه هو أو تصححه أنت بحيث يوضع في الصيغة الجامعة المانعة ! من ذلك مثلاً أني طرحت عليه أحد أسئلتي بالصيغة التالية :

« هذا الانهيار الأخلاقي في بلادنا ما سببه ؟ وهل

هو عرضي أم مقصود ؟ وهل جاء قبل أوانه ؟ »

فكان أول رده عليّ أن قال : الجزء الأول من سؤالك مفهوم ومحدد ، ولكن لماذا أضفت عبارة ( جاء قبل أوانه ) ؟ إن السؤال قد بدالي بهذه الصيغة معقداً غير واضح !

فقلت له : لنحذف هذه العبارة ، لعلي تسرعت في استخدامها ، إذ أنني كنت أريد القول : « وهل كان لابد منه ولكنه جاء قبل أوانه ؟ »

عندها قال : الان أصبح سؤالك محدداً ، ثم شرع في إعطائي الجواب .

نعم .. هكذا يبدو مالك بن بني ، ذلك المفكر الجزائري ، العربي المسلم الفذ .. هكذا يبدو لمن يجالسه ويستمع له .. ولعله هكذا يبدو لمن يقرؤه من خلال كتبه الكثيرة(١) القيّمة التي أضافت إلى المكتبة العربية بخاصة

---

(١) من أشهر هذه الكتب : الظاهرة القرآنية ـ شروط النهضة ـ فكرة الآفرو آسيوية ـ وجهة العالم الاسلامي ـ مشكلة الثقافة ـ ـ ميلاد مجتمع ـ الاستعمار والصراع الفكري ـ المسلم في عالم الاقتصاد ـ مذكرات شاهد القرن ...

ذخراً من العلم والفكر لا يقدر بثمن .

لقد كان الحوار معه ـ ولا سيما في الامسيتين إياهما ـ مفيداً ، ودسماً ، وغنياً ، ولكم وددت لو أنني أتقن الاختزال الكتابي . إذاً لقمت بنقل الفائدة كاملة للقارىء العربي . . ولكن كما تقول القاعدة الأصولية : ( مالا يدرك جُله ، لا يترك كله ) ، وهائنذا أوافيه بأبرز ماذار بيننا من حوار ، أعني بأبرز ما أولى به ـ حفظه الله ـ من آراء سديدة وأفكار قيمة خلال اللقاءات التي جمعتنا .

★ ★ ★

س : سؤال شخصي إذا سمحتم ؟

ـ : تفضل

س : كم عمركم الآن ؟

ـ : إنني الآن أشرف على السبعين ، بعد أن بلغت الثامنةوالستين.

فقلت : حفظكم الله ومد في عمركم وعافيتكم .

ـ : شكراً ياأخي .

س : مانوع الاختصاص الدراسي الذي تحملون شهادته ؟

ومن أي بلد ؟

ـ : حاولت بادىء الأمر ـ في سنة ١٩٣٠ ـ أن أدرس الحقوق في معهد الدراسات الشرقيـــة في باريس لأتخرج محامياً ولكنني استبعدت عن المعهد لاعتبارات سياسية استعمارية لقد كان يكفيهم مسوغاً لاستبعادي أنني مسلم جزائري ! ! ثم كان أن حولت دراستي الى معهد اللاسلكي في باريس نفسها ثم منه إلى معهد الكهرباء والميكانيك حيث أتيح لي أن أدرس الهندسة الكهربائية .

س : إذاً من حقي أن أقول : إن اختصاصكم شـيء ، واهتماماتكم الفكرية شيء آخر ؟

ـ : لا تعارض بينهما أبداً .. إن الدراسة العلمية الرياضية مصل واق ضد مرض الثرثرة . أما دراستي للمذاهب الاجتماعية والاقتصادية والفلسفات المختلفـــة والتاريخ فقد مارستها في الكتب والمجتمعات والأفراد .

س : الذي أعرفه ، هو أنكم كنتم لا تعرفون العربية ، وقد كتبتم مؤلفاتكم الأولى بالفرنسية قبل أن تترجم إلينا . فمنذ متى بدأ تعلمكم العربية ؟

- : منذ سنة ١٩٥٦ في مصر . ومن أصحاب الفضل على في هذا محمود شاكر في مصر وراتب النفاخ من سورية وعدد من الاخوة الأفاضل .

( وهنا أدركت سر هذه اللغة العربية الفصيحة التي يحدثنا بها )

س : لو نظرنا الآن إلى خارطة العالم الآيديولوجية فماذا نجد ؟

- إن الخارطة الايديولوجية للعالم تقرر الحقائق التالية :

١ - إفلاس الديانة البرهمية .

٢ - إفلاس الديانة البوذية . هذا في الشرق .

٣ - وإفلاس الديانة النصرانية في الغرب .

ولذا فان الصراع الذي لابد منه سيكون بين دينين اثنين فقط وهما :

الاسلام والشيوعية !

س : وهل تعتبرون الشيوعية ديناً ؟

- : نعم هي كذلك ، هي دين أرضي برغم ان أتباعها يتنكرون لكل دين ! أوليست عقيدة يدين بها أصحابها ويناضلون من أجلها ويموتون ؟ !

س : وماذا عن الديانة اليهودية التي لم توردوا لها ذكرا ؟

- : اليهودية تعرف هذه الحقائق وما سيؤول اليه أمر الصراع القريب المباشر بين الاسلام والشيوعية . وإنها لتراقب الموقف بيقظة ودقـة ولذلك اختـارت ضرب الاسلام وخلخلة صفـــه من الداخل بتشجيع حركة التشيع ( الدخول في الشيوعية ) ! اليهود يعتقدون أن الحوار والمواجهة مع الشيوعية في النهاية ، أسهل عليهم من الحوار مع الاسلام . . اليهودية تستطيـع - على سبيل المثال - تسلق واستلام مراكز القيادة في الشيوعية وقد حصل هذا فيما مضى ( كارل ماركس وكثيرون ممن جاؤوا بعده في مستواه ) ؛ أما بالنسبة إلى الاسلام فمستحيل أن يصل إلى سدة الرياسة أمير مؤمنين يهودي!!.

إن الذي يدخل الاسلام لا يخرج منه ، بينما الذي يدخل الشيوعية يخرج منها ولو بعد أربعين سنة . . وهذا ما حصل ( لروجة جارودي ) الزعيم الشيوعي الفرنســي المعروف . . الشيوعية لاتمنح الانسان الاستقرار وتبقيه في قلق وحيرة وهو لهذا قد يصحو ويرتد . إذاً - في منطق اليهودية - لتكن الدعوة الى الشيوعية ، لأن الحرب في

النهاية معها أسهل وأسلم نتائج . وان اليهودية تستخدم الآن ـ فيما تستخدم ـ الكنيسة من أجل تشييع أبناء المسلمين!!

س : يبدو لي أن هناك صعوبة في فهم ما أشرتم إليه من دور الكنيسة في تشييع أبناء المسلمين ؟ !

ـ : لاصعوبة ولا غرابة ، فهذا هو الواقع . عد إلى هوية الأشخاص القياديين الذي أدخلوا الحركة الشيوعية إلى بلاد الشرق المسلم ، تجدهم يهوداً ومسيحيين ! ثم تأمل الدور الذي تؤديه جامعة مثل الجامعة الأميركية في بيروت إذ تعمل بشكل أو بآخر على بث الفكر الماركسي في أذهان شبابنا ! ولا يفوتنك دورها التبشيري الذي قامت عليه في الأصل ! وبعد هذا لابأس من رواية هذه الحادثة استطراداً :

« جرى منذ عهد قريب احتدام في جامعة الجزائر بين جهتين من الطلبة المسلمين والشيوعيين ، وبلغ هذا الاحتدام أوجه على المجلات الحائطية . وعندما أراد الطلبة المسلمون أن يحسموا الجدال ، كتبوا على مجلة الحائط عبارة واحدة فقط ، أصابوا بها مقتل الآخرين فأخرسوهم بشكل

تام . كانت تلك العبارة : اسكتوا أيها الشيوعيون ، فنحن نعلم من أين تخرجتم ، لقد تخرجتم من أبواب الكنائس ! !

إن كنائس الجزائر قبل الاستقلال هي التي شيعت من تشيع من أبنائها هناك ! !

س • وهل هذا ما عنيتم من ( إفلاس النصرانية ) ؟

ـ : أبادر فأقول : لا ، لأن الذي عنيته من كلامي السابق هو سوق الشواهد على الدور الماكر الذي تقوم به اليهودية من خلال الكنيسة في تشييع المسلمين

س : إذاً كيف نفسر إفلاس النصرانية في أوربا ؟

ـ : تفسير ذلك يكمن في أن العقل الأوربي نضج ولم يعد قادراً على الايمان بأن ( ١+١+١=١ ) أو أن (١=٣) أي أن الله يساوي ( أب+ابن+روح قدس).

س : وهل هناك من أدلة عملية على هذا الافلاس الذي ذكرتم؟

ـ : الأدلة كثيرة . فمن ذلك دور التعليم العالي المسيحي في العالم وخاصة في أمريكا اللاتينية تغلق أبوابها الواحدة بعد الأخرى . ثم تتبعها الأديرة . . ومن ذلك الحادثة التي جرت منذ سنتين وأخذت أبعاد الفضيحة .

« أحد الأديرة ذو التاريخ العريق الممتد إلى ستة قرون أو سبعة ، أصبح مهدداً بالاغلاق ، لأنه فقد البنات المتطوعات لسلك الرهبنة ولبس المسوح ، مما حـــدا بالقس المشرف على الدير ـ رغبة منه في تفادي الموقف ـ أن يسافر إلى الهند وإلى منطقة ( كارالا ) بالذات نظراً لفقرها الشديد ، ليشتري بالعملة الصعبة عدداً من البنات كي يعلمهن في دورة تدريبية دامت شهرين « كيفية ارتداء المسوح ، والقيام ببعض الطقوس البسيطة قبل أن يزج بهن في الدير كل ذلك كي يبقى الدير ! ! » والذي كشف السر صحيفة انكليزية ثم الصحافة العالمية .

س : ذلك دليل على الافلاس ، فهل من دليل على النضج في عقل الأوربي ؟

ـ : الذي يحضرني الآن ، هو ماقام به رجل دين مسيحي من رتبة عالية جداً . وأعني به ( الكاردينال الهولندي سانس ) . لقـــد قدم هذا الكاردينال مؤخراً استقالته من المجمـــع المسكوني ، مساندة للقساوسة الشبـاب الذين تمردوا على المسوح وشروط ارتدائهـا ، ثم احتجاجاً على سياسة الفاتيكان الاجتماعية ! !

س : إذا كان العقل الاوربي قـــد نضج ـ كما تفضلتم ـ
فبماذا نفسر قابليتــه على أن يستغله اليهود ؟ أليس
ـ وهذا حاله ـ يتنافى واقعه مع وصفنا إياه بالنضج ؟

ـ : لا تنس قبل كل شيء ، أن اليهود قد استطاعوا في الآونة الأخيرة أن يتسللوا إلى أعلى المناصب الكهنوتيـــة ( ربما إلى أعلى من منصب كاردينال ! ! ) ولن نخوض الآن في التفاصيل . ثم بعد ذلك هنالك شيء يتصل بطبيعة الانسان الأوربي نفسه، الانسان الأوربي يمتاز على نطاق فردي ـ وألح على كلمة فردي ـ بالطيبة والعاطفة الانسانية وحسن الجوار ،وقد أدرك اليهود ذلك ، كما اشتموا بأنوفهم ـ وهي حساسة جداً ! ! ـ أن مركز القوة الحضاري سيكون في أوربا[1] فنظموا إليهـا هجرتهم منذ وقت مبكر وبشكل مركز ومقصود وليس عفوياً أبداً . . وما ذلك إلا ليجعلوا من شعوبها مطيتهم إلى أطماعهم وليجعلوا منها « بقرتهم الحلوب » .

(١) هذا قبل الحرب العالمية الثانية ، وقبل أن يدركوا بأنوفهم الحساسة إياها أن مركز القوة الحضاري هـذا سيتحول إلى الولايات المتحدة الاميركية التي تحولوا إليها بدورهم .

هذه حقيقة ظللت أحس بها فترة طويلة من الزمن وأنا في أوربا ، إلا أنني كنت أبحث لها عن دليل مادي إلى أن جاءني هذا الدليل ذات يوم .. ثم مضى يروي هذه الواقعة :

« كنت أنزل في أحد الأيام – وأنا في فرنسا – ضيفاً على أسرة جزائرية أصلها من مدينة قسنطينة . ومن المعروف أن اللهجة العامية لأهل قسنطينة تشبه إلى حد كبير لهجة اليهود الجزائريين . حصل في يوم أن ذهبت ربة البيت الذي يضيفني إلى السوق مع ولدها الصغير لتشتري بعض اللوازم البيتية . وفيما كانت على باب دكان تديره سيدة فرنسية بكى ولدها وأخذ يتشبث بأذيالها ويضايقها . فالتفتت إليه وزجرته ببعض كلمات عربية بلهجتها القسطنطينية . في هذه اللحظة انبرت امرأة عجوز كانت تقف إلى جانب السيدة الفرنسية في الدكان ، وقد ظهر البشر على وجهها ، انبرت لتقول للمرأة الجزائرية بالعاميـة الجزائرية أيضاً ، وهي تعني بقولها السيدة الفرنسية : ( الحمد لله الذي سخر لنا هؤلاء البقر)».

إن هذه الشمطاء قد أخطأت التقدير إذ ظنت أن

المرأة القسنطينية امرأة يهودية مثلهـا ، فأباحت لهـا بالسر الدفين ! وبهذا تكون قد أدلت بالشاهد الذي ظللت أبحث عنه زمناً طويلاً ! ! وتابع الأستاذ مالك يحلل نفسية الانسان الأوربي ويقارن بينها وبين نفسية الفرد اليهودي فساق لنـا هذه الواقعة الأخرى فقال :

كنا يوماً نجلس في أحد المقاهي في باريس أنا ولفيف من معارفي وأصدقائي وكان أحدهم صحافياً باريسياً معروفاً دارت بيننا أحاديث شتى ثم وصلت إلى اليهود . واليهود في تلك الآونة (عام ١٩٣٦) كانوا قد بدأوا يتعرضون لاضطهاد النازية في ألمانيا الهتلرية فوقف ذلك الصحافي يدافع عن اليهود وينحي باللائمة علينا نحن العرب لأننا نتهمهم بالعصبية ولـكي يدعم هذا الصحفي وجهة نظره مضى يقص علينـا هذه القصة قال :

« إنني أرأس جمعيـة خيرية للاحسان ومنـذ مدة قصدت جمعيتنا فتاة يهودية من المغرب ، كانت قـد قدمت إلى باريس للعمل ولـكنها لم تجده ، فرجتنا أن نساعدها فنؤمن لها اجرة العودة إلى أهلها في مراكش . حسبنـا

الأجرة فوجدناها (٧٥٠) فرنكاً ونظراً لضيق إمكانيات جمعيتنا فاننا لم نستطع أن نوفر لها أكثر من (٢٥٠) فرنكاً وخطر في بالنا أن نستنجد ببنك آل روتشيلد فهو مؤسسة يهودية ، فذهبنا إليه وقصصنا على مديره قصة الفتاة اليهودية طالبين منه مبلغ خمسمئة فرنك .. وفي النهاية لم يصرف لنا إلا خمسين فرنكاً !! » وعقب الصحافي على هذه الحادثة قائلاً : أفترون في هذا عصبية وتعصباً ؟ !

قال الأستاذ مالك : وعندما وصل صاحبي إلى هذا الاستنتاج لاحظت الثغرة في منطق هذا الانسان الطيب الساذج فسألته :

- عفواً سيدي .. وبالتالي هل رجعت البنت اليهودية إلى بيتها أم لا ؟

- طبعاً .. طبعاً .. إننا سفرناها على أية حال ..

فقلت :

- هذا ما كنت متأكداً منه ، والسيد روتشيلد متأكد منه أكثر مني فحقق عدة مكاسب في آن واحد :

- وفر على صندوقه مبلغ أربعمئة وخمسين فرنكاً !

ـ مدفر البنت على حسابكم !

ـ وفوق كل هـذا أعطاكم الصـورة التي أراك تدافع عنها باخلاص ! !

س : لقد أصبتم صميم الحقيقة يا أستاذ عندما حللتم معنى تصرف مدير البنك اليهودي . . ولكن ماذا نستخلص من الحادثة بمجموعهـا ؟

ـ نستخلص من الحادثة بمجموعها ، أن العقلية الأوربيـة بليدة برغم نضجها العامي ! إنها تفتقر إلى الحدس الذهني الذي يستشف ماوراء الاشياء ، فلا يكتفي بالظواهر المشاهدة وحدها فينخدع ؟

وكثيراً ما صارحت أصدقائي الاوربيين بقولي لهم ـ بلهجة الصداقة طبعاً ـ أنتم بلداء ! ! وكثيراً ما قلت لهم مداعباً: لا تدافعوا عنهم ( اليهود ) ، إنهـم أبنـاء عمومتنا ونحن أدرى بهم منكم .

س:ماطريق الخلاص الذي يمكن لأمتنا أن تسلكه لكي تنهض من هذا الحضيض الحضـاري الذي باتت تتردى فيـه ، لتعود من جديد خير أمة أخرجت للناس ؟

ـ السؤال مهم وعريض إلا أنه محدد ، وأنا سأجيب عليه

بعبارة صغيرة جداً . . طريق الخلاص هو : « فك التبعية » . . فك التبعية بجميع أشكالها عن الحضارة الغربية . . ثم استطرد يقول بشيء من الانفعال ( وقد فتح كفه اليسرى ) : هذه فقط من صنع الله – وكان يشير إلى زهرات من الياسمين استقرت فيها – أما ماعدا ذلك ، فكل ماحولنا هاهنا هو من صنعهم ، من نتاج حضارتهم . هذه الكراسي التي نجلس عليها . . هذه الطاولة . . هذا الشراب الذي نشرب . . الطعام الذي نأكله . . اللباس الذي نرتديه . . السيارات التي نركبها . . كل شيء !

نحن تُبَّعٌ لهم وعالة عليهم ، وما دمنا هكذا فلا خلاص ولا نهوض . إن تبعيتنا لهم ، ليست تبعية استهلاك فقط ، ولكنها تبعية انتاج أيضاً . وهذا امر أخطر من سابقه بكثير . تبعية الاستهلاك أن تستهلك ما ينتجون ، وتبعية الانتاج أن تنتج على شاكلة ما ينتجون دون مراعاة لاحتياجاتك الخاصة وظروفك المحلية .

تبعية الاستهلاك قد تكون مقبولة في حالة واحدة وهي أن تكيّف محلياً المادة المستهلكة . أضرب مثالاً على

ذلك فأقول : ( الكسكسية ) أكلة شعبية جزائرية . لقد انتشرت هذه الأكلة في فرنسا وفي غيرها من الدول الاوربية كبلجيكا . . فبينما ماتزال تصنع في الجزائر بأيدي النساء العجائز أو ربات البيوت ، فانها باتت تصنع في فرنسا وبلجيكا بمعامل آلية . حتى إن أكبر معمل لصنعها هو في بروكسل ! فنحن لو كانت تبعية استهلاكنا لمنتجات الحضارة الغربية على هذا النحو ، لما كان هنالك من ضير يذكر . أما أن نأخذها حرفياً فهذي هي التبعية القاتلة .

على أن تبعية الانتاج هي أخطر بكثير . والأخطر من الاثنتين معاً هي تبعية الفكر والعقيدة ، الأمر الذي نبه الله تعالى عليه رسوله الكريم منذ وقت مبكر فقال له : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ماأعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ، ولا أنتم عابدون ماأعبد . لكم دينكم ولي دين » إنها الفك التام للتبعية العقدية بشكليها الجزئي والكلي في الحال وفي الاستقبال وعلى مدى الدهر !!

الصين المعاصرة انتبهت إلى هذا في علاقتها مع السوفييت . . الصين تصعد الآن سلم الحضارة من جديد . وما كان بمقدورها أن تفعل هذا لولا فك التبعية عن روسيا بحزم وتصميم .

علماً بأن روسيا منحتها الكثير فكراً وآلة ، ولكن الصين أدركت أنها ستظل ذيلاً تابعاً ما دامت مرتبطة ، فانفكت . وكانت الثورة الثقافية ذروة الانفكاك ، لا أعني عن روسيا فقط ، وإنما عن التبعية للحضارة الغربية بشكل عام . . وبالمناسبة لا تتصوروا أن الجامعات بشكلها الحالي يمكن أن تبني لنا حضارة ، لأن جامعاتنا هذه لا تنشيء سوى تُبَّاع جدد ! ! إن الثلاثين أو الاربعين نفراً الذين كانوا يجتمعون مع النبي ﷺ في دار الارقم ، هم الذين بنوا الحضارة الاسلامية . . إن الحضارة الاسلامية انطلقت من دار الارقم وعلى نفس الطريقة يمكن أن نبعث حضارتنا من جديد .

س : هل تتصورون أن بمقدور الفرد أن يفك التبعية بمفرده ؟

ـ : طبعاً هذا أمر صعب جداً ، ولو حصل فانه لا يثمر ولابد من فكها بشكل جماعي . الفرد لا يحقق شيئاً وحده دون روابط جماعية اجتماعية . الفرد لايستطيع تكوين نفسه إلا بشروط معنوية هي ( الارادة الحضارية ) أو العقيدة بمعناها العام ، وشروط مادية ، هي ( الامكان الحضاري ) ، والارادة سابقة على الامكان . ( الارادة ) تتكون في النفوس ، بينما ( الامكان ) نتيجة وتتكون

في الزمن والله تعالى يقول : « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » إذاً لابد من الارادة بمعناها الجماعي .

س : ولكن يبدو للسامع أن هناك ثغرة بين ما تفضلتم به آنفاً ( من حيث التركيز على المسؤولية الجماعية ) وبين المسؤولية الكبرى التي أناطها القرآن الكريم بالفرد في آيات كثيرة من مثل قوله تعالى : « كل امريء بما كسب رهين » وقوله : « إنْ كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » . ؟

أما قلت لك من قبل إن المصطلحات هي الآفة الكبرى دائماً ؟ ..

يجب أن نفرق بين ماهو ( مسؤولية ) وبين ماهو ( تكليف ) . الآيات التي ذكرتها تنصب على التكليف تكليف الفرد . ومفهوم التكليف الفردي ـ بالمناسبة ـ لم يعرفه دين قط كما عرفه الاسلام ! أما قيام الحضارة فهو مسؤولية جماعية بالدرجة الاولى ..

س : هل لكم أن تتفضلوا فتزيدونا إيضاحاً بأمثلة عملية

عن مدى الدور الذي هو كائن ( للمسؤلية الجماعية ) في بناء الحضارة ؟

-: لا بأس .. الفهم العلمي ضروري .. وهذا الفهم يقول: إن أي مولود مهما يكن ، يولد اليوم تحت قانون إحصائي عام ، يحدد له منذ اللحظة التي يولد فيها نصيبه من ( العمل ) ونصيبه من ( العلم ) ونصيبه من ( المال ) .

فالمولود الذي يولد على خط ( واشنطن - موسكو ) يكون حظه من ( العلم ) بنسبة ( ٩٥٪ - ١٠٠٪ ) بينما الذي يولد على محور ( طنجة - جاكرتا ) يكون حظه بنسبة أقل بكثير ( ٥٪ - ١٠٪ ) .

وهكذا بالنسبة إلى ( العمل ) فان الذي يولد في انكلترا يكون حظه من البطالة بنسبة $\frac{١}{٦٧}$ فقط في حال افتراضنا أن هناك مليوناً عاطلين من أصل ( ٦٧ ) مليوناً الذين هم مجموع السكان . بينما تختلف النسبة هذه في مصر - على سبيل المثال - اختلافاً كبيراً . فقد تكون النسبة هنا $\frac{٢٥}{٣٥}$ في حال افتراضنا أن مجموع عدد السكان في مصر هو ( ٣٥ ) مليوناً ! !

أما بالنسبة إلى ( المال ) فاني أسوق لكم هذه الحادثة :

كنت أجلس مرة ( في سنة ١٩٣٨ ) على سطح مقهى في مرسيليا مع رجل جزائري من أصدقائي ، أعرف فيه الصدق والاستقامة والأخلاق النبيلة . وأعرف فيه العلم الواسع فقد كان من علماء الجزائر التقليديين . وكان الى جانب هذا رقيق الحال لا يكاد كسبه يفي بمتطلباته أبداً وحتى أعطيكم صورة عن مدى إخلاصه وقوة خلقه ، فاني أذكر أنني زرته يوماً في مستشفى حيث كان يعالج مرضاً ألم به ، فوجدته متألماً ويبدو عليه التجهم ، فلما سألته عما به - وأنا لا أشك في أنه يبكي من فرط الالم - قال لي : ( واحسرتاه إنني لم أعد أصلح للجهاد ) ! !

نعم ، ذات يوم كنت جالساً مع أخي هذا الجزائري على سطح مقهى في مرسيليا يحدثني عن نوائب الزمان التي ألمت به والضيق المادي الذي هو محدق برزقه فلما انتهى من حديثه ودّعني وانصرف لبعض أعماله ، وبقيت وحدي أفكر في أمر أخي . وبينما أنا كذلك إذ بامرأة عجوز شمطاء دخلت المقهى وعلى وجهها أمارات حياة قذرة ، قد يخيل من

ملامح وجهها أن رائحة الخمر تنبعث من فمها ، فوقفتْ وسط المقهى وغنت بأقبح صوت وهي ترقص على رجل واحدة ، فما إن انتهت من الذي هي فيه حتى مدت يدها إلى الجالسين فكانت حصيلتها التي جمعتها عن طيبة خاطر الفرنسيين مايكفي أخي الذي كان معي وأهله أسبوعاً ! !

وهكذا دار في ذهني هذا السؤال : لماذا هذا الرجل الفاضل المخلص يحرم من سعة العيش وهذه المرأة المحرومة من كل ميزة خلقية يأتيها رزقها رغداً ؟ عندها وقعت على القانون الاحصائي الذي أشرت إليه قبل قليل ، إذ فهمت أن حياة الفرد قبل أن تكون منوطة بذاته الخاصة وبمواهبته الشخصية ، هي منوطة أولاً وقبل كل شيء بصلته بمجتمع معين . فاذا كان المجتمع يقدم الضمانات للفرد فان كل فرد ولو كان هذه المرأة الشمطاء لا يحرم من الحياة .. إنها تأخذ نصيبها مالياً ومعاشياً بنفس النسبة التي يأخذها أي مواطن من المجتمع الفرنسي الذي تنتمي إليه ..

وإن صاحبي البائس هو الآخر يأخذ نصيبه بنفس النسبة التي يأخذها أي مواطن من المجتمع الجزائرى الذي

ينتمي إليه ! !

إذاً لا بد من ( الارادة ) بمعناها ( الجماعي ) . . قال الله تعالى : « ولتكن منكم ( أمة ) يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ».

* * *

س : هل لنا أن نتحدث اليوم في موضوع ( الحضارة ) فقط ومشكلاتها ، لا سيما وأن هذا الموضوع هو شغلكم الشاغل في معظم ما تكتبون ؟

ـ : إن ذلك من دواعي ترحيبي وسروري .

س : إذا أردنا أن نمضي في طريق الحضارة كيف نفعل ؟ أيكون سيرنا سير المبتدىء أم سير المستأنف ؟

ـ : سير المستأنف طبعاً . وإلا نكون متنكرين لأعز فترة من تاريخ أمتنا ، وأعظم إنجاز إنساني قدمته لنفسها وللعالم .

س : الحضارة الغربية سبقتنا بأشواط لا متناهية ، وهي لا تنتظرنا بالطبع . . والهوة بيننا وبينها هائلة جداً . . إنهم في القمر وفي طريقهم إلى كواكب أخرى ، وما نزال نحن حيث لا يخفى على أحد ! ! فما العمل ؟

ـ : إن الهوة التي أشرت إليها قائمة بيننا وبينهم ـ كما هو ملاحظ ـ في ميادين التكنولوجيا والذرة والفضاء .. واذا كان المسلم متخلفاً في هذه الميادين ولا يستطيع فيها الاستدراك فان عليه أن يبحث عن الصدارة والاختصاص في ميادين أخرى..ميادين تخلف فيها الآخرون تخلفاً لا تستطيع استدراكه العلوم المدروسة في الجامعات .. إن المجتمعات المتقدمة متخلفة في مجال ( الانسان ) . وهذه الظاهرة هي الطامَّة الكبرى في القرن العشرين ! يجب على المسلم تمريض العالم ومعالجته اجتماعياً ونفسياً . فيقدم للصنف الذي يعاني الفقر الروحي الاسلام وللصنف الآخر الذي يعاني مشاق التخلف الاقتصادي نوعاً جديداً وسريعاً من الحضارة ، تضعه في مستوى المتقدمين دون أن نورطه في مشكلاتهم النفسية ... إن مهمتنا يجب أن تكون قائمة على أساسين ومتجهة إلى هدفين .

ـ رفع الانسان المسلم اجتماعياً إلى مستوى الحضارة . .

ـ ورفع الانسان الغربي أخلاقياً إلى مستوى الانسانية التي تفصله عنها العاهات النفسية الموروثة من عهد الاستعمار .

س : لو أردنا تعريف الحضارة تعريفاً محدداً فماذا نقول ؟

- : نقول : « إن الحضارة هي مجموعة الشروط المادية والمعنوية التي تتيح لمجتمع ما أن يقدم جميع الضمانات الاجتماعية لكل فرد يعيش فيه » هذا هو التعريف الوظيفي المحدد للحضارة لديّ

س : شكراً .. ولكن هل تتصورون إمكان قيام حضارة بلا عامل أخلاقي ؟

- : لا طبعاً .. وأنا أعني ( بالشروط المعنوية ) الأخلاق قبل كل شيء .

س : إذاً ، ما رأيكم في الحضارة الغربية ؟ ما نصيبها من الأخلاق؟

- : إنها آلت إلى حضارة مادية صرف ، ولذلك فانها آيلة إلى الانهيار السريع والسقوط . بل لن يمر عليها وقت طويل حتى تكون قد سقطت فعلاً !!

س : وهذا التقدم العلمي العظيم الذي يطير الغرب على جناحيه؟!

ابتسم بهدوء وقال :

- العقيدة ، الروح توجد علماً . أما العلم فلا يوجد عقيدة ولا روحاً .. هـذا العلم الذي ترى هو نتيجة للحضـارة الغربية ، وليس سبباً لها . ومتى انهار الانسان من داخله انتهى فيه كل شيء ، ولا يغرنك الظاهر !

الشعوب الاوربية تعاني الآن من حيرة قاتلة وضيق خانق في النفوس .. يضيقون من شيء مجهول ! بسبب أن الحياة باتت لا معنى لها عندهم ولا غاية ! لقد استنفدوا منها كل شيء ! إن ( ثالوثاً ) رهيباً يتهددهم بالسقوط العاجل ذلك الثالوث هو : المخدرات ـ الانتحار ـ الجريمة !!

أسرة بكاملها بأطفالها .. ابادتها عصابة مراهقين السنة الماضية ( ١٩٧١ ) في أمريكا .. ولما قبض على العصابة واستجوبت للتحقيق قالوا : « كنا نتسلى » .

إن بعض الاحصائيات الاخيرة ، التي نشرتها مصلحة الأمن في تقرير رسمي لمحافظة باريس تفيد بأن نسبة المدمنين بين الشباب للمخدرات تضاعف بنسبة عشرين في المئة خلال السنتين الاخيرتين . هذا في فرنسا فما بالك في أمريكا ؟!.

وإن السويد برغم أنها حققت لشعبها أقصى حد من الضمانات الاجتماعية فانها ـ كما تفيد الاحصائيات ـ تتصدر رأس القائمة في ( إحصائية الانتحار العالمية ) ..

بينما الانسان المسلم ، المسلم التطبيقي ، ليس في ضيق من نفسه وإنما في ضيق من الحيـاة ، المسلم يؤمن بالحشر والنشر . يؤمن بالله . . ولذلك فهو يتلقى المفاجآت بالتجمل ويتوقع رحمة الله دائماً ، ويستشرف عالماً آخر فيه الخلود ..

فنحن في ضيق من الحياة وهم في ضيق من النفوس ينتظرون مَنْ يشرح صدورهم . . ينتظرون عقيدة المسلم .. يفتقدون صوت السماء .

س : هذا الانهيـار الأخلاقي في مجتمعنا ما سببه ؟ وهل هو عرضي أم مقصود ؟

ـ : هو عرضي من حيث هو نوع من التقليد والتأثر . . ولكنه مقصود ، ومقصود بشكل مرعب من جهة أخرى .. لأن هناك قوى خفية تعمل في زيادته ، وتريد لنـا أن نبلغ اللانهاية في هذا الانهيار بأسرع وقت ممكن ! . وكأني بك قد وضعت أصبعك على نقطة خطيرة جـداً باستخدامك كلمة ( مقصود ) .

س : هل هناك مايعزز رينتكم تلك في مجال غير مجال التهديم الخلقي ؟

ـ : نعم فأنا مثلاً ألاحظ أن يدنا كلما امتدت لتحقيق غاية

كانت تحلم بها وتسعى لها منذ زمن بعيد .. امتدت يد أخرى إلى تلك الغاية لتحولها إلى أمل ، وهكذا من جديد

س : هل لليهود دور في إفساد الاخلاق على مستوى عالمي؟ وما حدود هذا الدور في رأيكم ؟

ـ : اليهود لهم الضلع الأكبر في تهديم الأخلاق أينما وجدوا إنهم يمارسون هذه الحرفة ، حرفة تخريب الأخلاق عن عمد وتصميم ولذلك فهم يسيطرون على جميع أدوات تعفين الاخلاق في العالم ، ولعلي أعني السينما ـ المسرح ـ التلفزيون ـ الصحافة ـ دور النشر ـ دور تصميم الأزياء ـ مجلات الجنس .. الخ

وهم يحققون بذلك غرضين اثنين :

الاول : جمع المال الذى هو أداة السلطة والنفوذ .

والثاني : تخريب الاخلاق .

س : كيف نستطيع إذاً ـ والحالة هذه ـ ان نوفق بين القانون التاريخي « في تلازم سقوط الحضارات مع سقوط الاخلاق » ، وما بين ارتقاء اليهود حضارياً في عصرنا هذا مع سقوط أخلاقهم ؟.

عندما طرحت عليه هـذا السؤال ، كان الحديث المتبادل يجري في منتهى الهدوء ، فما رأيته إلا

أطرق ملياً ثم رفع رأسه إليّ بعد قليل - وابتسامة رضية على وجهه - فقال :

- : هناك أمور كثيرة قد تبدو لأول وهلة متناقضة ، ولكنها ليست كذلك ..

ثم مضى بلا مقدمات يسرد علينا هـــذه القصة :

« كانت تصلني بطبيب فرنسي كبير صلة مودة وصداقة . وكان لهذا الطبيب عشيقة يهودية . وقد حدثني مرة عن أمر ظل يشغل اهتمامه طوال المدة التي كان بها على صلة مع عشيقته تلك . لقد كان يلاحظ عليها أنها - لحظة الرعشة الجنسية - تبحث عن أي شيء حولها لتمسكه بيديها وتشد عليه .. »

إن هذا العمل ماهو في حقيقته الا إبعاد لمعنى اللذة اللاارادي أو ما يسمى في مصطلح علم النفس ( عملية العزل ) أي انها لا تضاجع عشقيها عن هوىً ولذة ، بل تضاجعه عن إرادة و « رسالة » .. ان رسالتهم هي تدمير الاخلاق عن وعي وتخطيط بالنسبة الى جميع الملل من غير اليهود ..

أما فيما بينهم فلهم أخلاقهم الخاصة ومعاملتهم الخاصة ليس في موضوع الزنا فقط ، وانما في موضوع الربا وغيره

وغيره ، فهو حرام بينهم مباح مع الآخرين . .
نهما على هذه الاخلاق الخاصة يشيدون حضارتهم المعاصرة
وهنا علينا أن نتذكر ماقلناه سابقاً من أن الحضارة تُبنى
بارادة جماعية قبل أن تبنى بسلوك فردي . فاذا كان السلوك
الفردي للشخص اليهودي ( لا أخلاقياً ) ، فان ( الارادة
الجماعية ) لليهود تتركز على بعث وجودهم وبناء حضارتهم
على أنقاض أخلاق وكيانات الحضارات البشرية جميعاً . وهذا
ما ينفذونه الآن عملياً ، كما أنه ديدنهم منذ القديم . .

س : أستاذنا الكريم ، أرجو ألاّ أكون أثقلت عليكم وأطلت
فهل تسمحون لنا بعود على بدء ؟

- : لا ، أبداً . . تفضل ، تفضل . .

س : لقد أطلقتم ـ فيما مضى من حديثنا ـ على الشيوعية
اسم ( دين ) . والاسلام ولا شك هو دين . . ففي هذه
الحالة ماالفرق الذي ترونه جوهرياً بين حضارتين ، احداهما
تنبثق عن الشيوعية والاخرى تنبعث عن الاسلام ؟ .

- : الفرق حاصل ، وإنه لواسع وعميق ، واني لأعرضه
عليك من بعض وجوهه :

ان العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مقعّدة ومؤسّسة في الشيوعية ـ ومثلها في بقية المذاهب المادية العلمانية ـ على مبدأ مطالبة الفرد ( لحقه ) ، بينما هي في الاسلام مقعّدة ومؤسسة على مبدأ قيام كل فرد ( بواجبه ) .

إن ( الحق ) في هذه الحالة هو ما يأخذه الفرد من المجتمع وهو عمل سلبي .

أما ( الواجب ) فهو مايقدمه الى المجتمع وهو عمل ايجابي .

التحريك الاجتماعي يكون في الشيوعية لطبقات معينة ( عمال .. فلاحين .. ) بينما هو في الاسلام ( للنفوس الخيرة وللعلماء ) ، أعني العلماء على اختلافهم ، الملمين بجوانب الحياة الروحية والمادية معاً . الحديث الشريف يقول : « اليد العليا خير من اليد السفلى » . إن هذا الحديث يبرز لنا حقيقتين اثنتين : أولاهما ان الواجب أهم من الحق ؛ وثانيتهما أن الانتاج اشرف من الاستهلاك .

العلاقات المبنية على مفهوم ( الحق ) تستلزم ( المطالبة ) أي المناضلة بغية ( الاخذ ) والوصول إلى الحقوق . ولذلك فهي تنتهي بالصراع ، فالحقد ، فالزوال السريع .

في حين ان العلاقات المبنيـة على مفهوم ( الواجب ) تستلزم ( الاداء ) ، اي ( العطاء ) فهي تنتهي بالوئام . فالحب ، فالخلود ..

* * *

وقبل ان نفترق ، بعد آخر لقاء تم بيننا ، قلت له: أتأذن لي بنشر مادار بيننا من حوار واحاديث في لقائنا هذا واللقاءات السابقة ؟

فرد علي باسماً :

آذن لك .. بل اكون شاكراً ، لما اظن من ان احاديثنا تلك – وقد جرت على سجيتها – كانت لاتخلو من جدية وفائدة ، لعل القارىء العربي ينتفع بها .

ثم كانت مصافحة .. وكان افتراق على امل لقاء .

بيروت في / ٥ / رجب / ١٣٩٢ و / ١٩٧٢/٨/١٤